Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونفسياً وعسكرياً . فأية دولة لا تقوم على قاعدة شعبية متينة تجعل من المواطنين مجموعة من اللامبالين السلبيين ، وتقتصر بطانته على المنافقين والمنتفعين ، ويقل فيها الصالحون والناصحون . وعندما تواجه الدولة أية مشكلة ينهار النظام ، لأن أعوانه الذين يفترض فيهم أن يفدوه بدمائهم يتخلون عنه ، لأنهم لا يؤمنون به ابتداء .

ولم تكن مهمة محمد ﷺ هينة ، فالبيئة الاجتماعية التي بعث فيها لها مفاهيمها وعاداتها وتقاليدها ، وكان عليه تغيير تلك المفاهيم واستبدالها بمفاهيم الدين الجديد وقيمه وأخلاقه .

« لقد قضى في مكة ثلاث عشرة سنة يقابل الحرب بالسلام ، ويواجه الأعاصير بالسكينة ، والانتقام بالصفح ، والطغيان بالدعوة إلى العدل . ولا يمكن أن نعتبر مواقفه تلك تهرباً من مواجهة أعدائه والمشركين ، ولا استسلاماً لطغيان قريش واعترافاً بسلطانها الجائر ؛ لأنه يعرف أن الاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة اللّه أعلى المراتب التي ينالها المؤمن . ولذلك لم يفكر يوماً بالتخلي عن أداء واجبه ، ولم يدر أبداً في خلده الهروب من المواجهة ، بل على العكس ، كان قائداً حكيماً يجيد فن التوقيت كما يجيد فن الصبر والاحتمال وسياسة النفس الطويل»[1] .

وقد استطاع في خلال هذه المدة تكوين نواة أمته من أبطال يسترخصون الحياة في سبيل اللّه والدين الجديد . ولكنه اقتنع بأن قريشاً لن تسمح له بتحويل مكة الى « قاعدة قوية وأمينة » ينطلق منها لنشر دعوته وتأسيس دولته . فقد أوجد الناس المؤمنين ، رُكن الدولة الأول ، وهو بحاجة إلى الأرض الركن الثاني في كل دولة ، فتطلع إلى مدينة أخرى يتخذها قاعدة . ووقع اختياره على الطائف لأنها أقرب المدن إلى مكة

---

(١) الزين : حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي ، ص ١٠٨ .